مقال مترجم

# صَلْب يسوع


## للدكتور ترومان ديفيز[١]

**C. Truman Davis, M.D., M.S.**


في هذه المقالة سأُناقش بعض الأوجه الجسدية لآلام أو مُعاناة يسوع المسيح. وسنتبعه من جثسيماني، ثم محاكمته وجَلْده، ثم مسيرته على درب الآلام، إلى ساعات موته الأخيرة على الصليب.

لقد شغفتُ بهذا الأمر منذ سنة مضت في كتاب جيم بيشوب "يوم ممات يسوع". أحسستُ فجأة أنني كنتُ قد تقبَّلتُ الصَّلْب كأمر مُسلَّم به طوال هذه السنين – لدرجة أنني فقدتُ الإحساس برُعبته، تقبَّلته بالمشاعر المتبلِّدة من فرط الاعتياد بتفاصيله القاسية – وبقليل من التآلف بيسوع. وأخيرًا، أدركتُ أنني كطبيب لم أكن أعلم حتى السبب المباشر "للوفاة". كاتبو الأناجيل لا يساعدوننا كثيرًا من جهة هذا الأمر، لأن عمليتَي الصَّلْب والجَلْد كانتا شائعتين في عصرهم، حتى إنهم بلا شكٍّ اعتبروا وصفها تفصيليًّا أمرًا لا حاجة له بالمرة. لذلك نجد الكلمات الموجزة للإنجيليين: "وبعد أن جلد بيلاطس يسوع أسلمه ليُصلَب ... وصلبوه".

إنني مديون لكثيرين مِمَّنْ درسوا هذا الموضوع في الماضي، وبالأخص الزميل المعاصر الدكتور بيير بناربيه، الجرَّاح الفرنسي الذي قام ببحث تاريخي شامل. وقد كتب باستفاضة حول هذا الموضوع.

أنا لا أعتبر نفسي كفؤًا لمناقشة الآلام النفسية والروحية للإله المتجسِّد كفَّارةً لخطايا الإنسان الساقط، ولكننا نستطيع أن ندرس بشيء من التفصيل الأوجه الفسيولوجية والتشريحية لآلام ربنا ... ماذا احتمل بالفعل جسد يسوع الناصري خلال ساعات تعذيبه؟

وقد قادني هذا لدراسة مُمارسة عملية الصَّلْب ذاتها، أي تعذيب وإعدام إنسان

---

(١) سبق أن تمَّ نشر هذه المقالة في مجلة مرقس، عدد مارس سنة ١٩٨٠م.

بتعليقه على صليب. وعلى ما يبدو فإن أول مُمارسة لعملية الصَّلْب تمَّت عند الفُرس. وقد نقلها الإسكندر وقوَّاده إلى حوض البحر المتوسط ومصر وقرطاجنة. ومن الواضح أن الرومان أخذوا هذا الفعل من أهل قرطاجنة (وطبقًا لِمَا فعله الرومان بكل شيء تقريبًا)، فإنهم قد أحرزوا بسرعة درجة عالية من الكفاءة والمهارة في تنفيذها. وقد وصف هذا عدد من المؤلِّفين الرومان مثل: ليفي وشيشرون وتاسيتُس. وقد وُصِفَت في الأدب القديم عدَّة تجديدات وتطويرات لهذه العملية سوف أذكر القليل منها مِمَّا يهمنا.

**شكل الصليب:**

فالخشبة القائمة للصليب يمكن أن تحمل الخشبة المُستعرضة على مسافة قدمين أو ثلاثة أقدام أسفل قمَّتها. وهذا هو ما يشيع في اعتقادنا اليوم عن الشكل التقليدي للصليب (الذي قد تسمَّى فيما بعد بالصليب اللاتيني). ولكن الشكل المُعتاد في أيام ربنا كان صليبًا على شكل حرف **T** ، الذي فيه كانت تُوضع الخشبة المُستعرضة في تجويف بالطرف العلوي للخشبة القائمة.

وتوجد دلالة أثرية قوية إلى أنه على مثل هذا النوع من الصليب قد صُلِب يسوع[٢].

وعمومًا كانت تُثبَّت الخشبة القائمة في الأرض في موضع الإعدام، وكان المحكوم عليه يُلزَم بحمل الخشبة المُستعرضة، التي كانت تزن حوالي ١١٠ أرطال، من موقع السجن إلى مكان الإعدام.

وبدون أيَّة إثباتات تاريخية أو إنجيلية، كان رسَّامو القرون الوسطى وعصر النهضة ومعظم النحَّاتين الذين يُصوِّرون منظر الصليب اليوم، يُظهِرون المسامير في راحة اليد. ولكن دلَّت تقارير الرومان التاريخية والأبحاث الدراسية أن المسامير قد اخترقت فيما بين العظام الصغيرة للمعصمَيْن – الرسغ – وليس خلال راحة اليد. لأن المسامير التي تُدقُّ خلال راحة اليد لابد أن تُمزِّق الأنسجة بين الأصابع عندما تحمل ثقل جسم الإنسان. وقد يكون اللَّبس في ذلك ناتجًا عن سوء فهم كلمات يسوع لتوما: «أَبْصِرْ يَدَيَّ»، ولكن علماء التشريح المُعاصرين والقُدماء دائمًا يعتبرون المعصم جزءًا من اليد.

---

(٢) معروف عند الأقباط أن هذا فعلًا كان شكل الصليب، وقد صنع الرهبان عكاكيزهم على هذا النمط، وهو يُسمَّى حتى اليوم باسم عصا أنطونيوس.

وكان يُحمَل في مُقدِّمة موكب الصَّلْب لافتة صغيرة توضِّح جريمة المحكوم عليه، وأخيرًا، تُسمَّر في الصليب فوق الرأس. وهذه اللافتة – بالعصا التي تحملها – بعد أن تُسمَّر في أعلى الصليب، ربما كانت تُعطي الشكل المُميَّز للصليب اللاتيني.

**صار عرقه كقطرات دم:**

وتبدأ آلام الرب في بستان جثسيماني. ومن بين الأوجه المُتعدِّدة لهذه الآلام المبدئية سوف أُناقش إحداها ذات الأهمية الفسيولوجية وهي: "العَرَق المُدَمَّم". ومن الطريف أن طبيب الجماعة، القديس لوقا، هو الوحيد الذي ذكرها، إذ يقول «وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ» (لو ٢٢: ٤٤).

وقد عُمِلَت كل محاولة يمكن تصوُّرها بواسطة العلماء المعاصرين لاستبعاد هذه الظاهرة بناءً على اعتقادٍ خاطئ بأن ذلك لا يمكن حدوثه. ولكن يمكن توفير هذا الجهد الكبير بالرجوع إلى المراجع الطبيَّة، لأنه رغم أن ظاهرة العَرَق المُدَمَّم هذه المُسمَّاة Hematidrosis = bloody sweat نادرة الحدوث، إلَّا أنه قد تسجَّل حدوثها. إذ إنه تحت تأثير ضغط انفعالي شديد، قد تنفجر الشعيرات الدموية الدقيقة للغُدد العَرَقيَّة، وبالتالي يمتزج العَرَق بالدم. وهذ العملية وحدها تُسبِّب إعياءً شديدًا، وربما تؤدِّي إلى حدوث صدمة (shock - أي هبوط شديد بضغط الدم).

وسنَعْبُر سريعًا على الخيانة والقبض، ويجب أن أؤكِّد مرةً أُخرى أن أجزاء هامة من قصة الآلام لم تُسجَّل في هذه الرواية، وقد يكون ذلك مُثبطًا لنا، ولكن من أجل أن نلتزم بهدف بحثنا فإن الشيء المهم هو الجانب الجسدي الخالص للألم وحده. فبعد القبض في منتصف الليل، أُحضِرَ يسوع أمام السنهدريم وقيافا رئيس الكهنة، وهنا اقتُرِفَت أولى الإصابات الجسدية، حيث لطم أحد الجنود يسوع عند استجوابه بواسطة قيافا، ثم غطَّى حُرَّاس القصر وجهه ساخرين منه باستهزاء ليتنبَّأ بشخصية كلٍّ منهم عند عبورهم عليه. وبصقوا عليه، ولطموه على وجهه.

**المحاكمة والجَلْد:**

وفي الصباح الباكر أُخِذَ يسوع، وهو مضروبٌ ومُصابٌ بكدماتٍ وفي حالة جفاف وهو مُنهَك القُوى، بعد ليلٍ قد خلا من النوم، عَبْر أورشليم إلى دار الولاية بقلعة أنطونيا مقر

حكومة الوالي الروماني على اليهودية – بيلاطس البنطي – ونحن بلا شكٍّ على دراية بما فعله بيلاطس محاولة منه للتملُّص من المسئولية ونقلها إلى هيرودس أنتيباس رئيس الربع على اليهودية. ويبدو أن يسوع لم يَلْقَ سوء معاملة جسديًّا على يدَي هيرودس الذي أعاده إلى بيلاطس.

وهنا أَمَر بيلاطس، استجابة لصرخات الرعاع، بإطلاق سراح باراباس وأسلم يسوع للجلد والصَّلب. وأغلب الكُتَّاب الرومان في هذه الحقبة لا يربطون بين الاثنين. فمعظم العلماء يعتقدون أن بيلاطس أَمَرَ أصلًا بجلده كعقوبة كاملة، أمَّا حُكْم الموت بالصَّلْب فقد أتى فقط استجابة لهُزء الرعاع، بأن الوالي ليس مواليًا لقيصر ضد هذا المُدَّعي الذي أعلن أنه ملك اليهود.

وكان الإعداد للجلد يجري، والمحكوم عليه تُنزع عنه ملابسه وتُربَط يداه إلى عمود فوق رأسه. ومن المشكوك فيه أن الرومان قد قاموا بأيَّة محاولة لاتِّباع القانون اليهودي في أَمْر الجلد. فقد كان لليهود قانون قديم يمنع الجلد بأكثر من أربعين جلدة. ولكي يطمئن الفرِّيسيون إلى أن القانون يُنفَّذ بدقَّة كانوا يُصرون على أن يتمَّ الجلد بتسع وثلاثين جلدة فقط (حتى إذا حدث سهو في العدِّ يظلون داخل حيز القانون). وهنا يتقدَّم أحد جنود الكتيبة الرومانية والسَّوط في يده. وهو مكوَّن من عدَّة سيور جلدية، ينتهي طرف كل منها بكُرَتين من الرصاص. وهذا السوط الثقيل كان ينزل بكل القوة، المرَّة تلو الأخرى، على كتفَي يسوع وظهره ورجليه. في البداية تنفذ السيور خلال الجلد فقط فتُمزِّقه ثم مع توالي الضربات يزداد عمق هذه التمزيقات ليصل إلى الأنسجة تحت الجلد مُحدثًا أولًا نزيفًا دمويًّا من الشعيرات والأوردة الجلدية، وأخيرًا دمًا شريانيًّا نافرًا من الأوعية الموجودة بالعضلات التي تحته. وتبدأ بعد ذلك كُرات الرصاص الصغيرة تُحْدِث كدماتٍ غائرة ثم تتمزَّق هذه الكدمات بالضربات اللاحقة. وفي النهاية يصير جلد الظهر كله مُتهرِّءًا بتمزيقات طويلة تصبح بعدها المنطقة عبارة عن كتلة من الأنسجة النازفة الوارمة وقد فقدت كل معالمها.

وعندما تحقَّق قائد المئة المسئول بأن المحكوم عليه قارب الوفاة، أوقف أخيرًا الضرب.

**إكليل الشوك:**

عندما سُمِحَ ليسوع، بعد حل وثاقه، وهو في شبه إغماءة، بأن يسقط على الأرض، على

البلاط الحجري، وهو مُبلَّل بدمائه، وقد رأى جنود الرومان سخرية كبيرة في منظر هذا اليهودي الريفي الذي يدَّعي أنه ملك؛ فألقوا فوق كتفيه رداءً ملوكيًّا ووضعوا في يده قصبة كصولجان، وبحثوا عمَّا يصلح أن يكون تاجًا له ليُكمِّلوا مسرحيتهم الهَزْلية، فضفروا حزمة صغيرة من فروع مرنة من الأشواك الطويلة (تُستعمل عادةً للحريق) – على شكل تاج – غُرست بعنف في جلد رأسه. وهنا حدث مرةً أخرى نزيف وفير (ومعروف أن جلد الرأس – فروة الرأس – هو أحد أجزاء الجسم المزدحمة بالأوعية الدموية). وبعد الهُزء به ولطمه على الوجه، أخذ العسكر القصبة وضربوه بها على رأسه لتنغرس الأشواك أكثر عمقًا في جلد رأسه. وأخيرًا بعد أن تعبوا من تسليتهم الساديَّة هذه، نزعوا عن ظهره الرداء الذي قد صار ملتصقًا بتجلُّطات الدم والمصل فوق الجروح، فأحدث نزعه ألمًا مُبرِّحًا – كما يحدث عند نزع ضماد جراحي دون اكتراث – وكأنه يُجلَد من جديد، والجروح تبدأ تنزف من جديد.

**حَمْل الصليب:**

ونزولًا عند عادة اليهود، يُعيد الرومان إليه رداءه وتُربَط الخشبة المُستعرضة من الصليب على كتفيه، ويبدأ موكب المسيح المحكوم عليه واللِّصَّيْن والجنود الرومان المُكلَّفين بتنفيذ حُكْم الإعدام، يرأسهم قائد المئة، رحلتهم البطيئة عَبْر طريق الآلام. وبالرغم من جهد يسوع لكي يسير منتصبًا، فإن وزن الخشبة المُستعرضة الثقيل مع حالة الصدمة الناتجة عن فقدان كثير من الدم كان أكثر مِمَّا يُحتَمل. لذلك تعثَّر وسقط! وكان السطح الخشن للخشبة الثقيلة ينحَر في الجلد والعضلات المُهترئة للكتفين. ومهما حاول المسيح القيام، إلَّا أن القدرة الإنسانية كانت قد تعدَّت حدود احتمالها!! فحرصًا على إتمام الصَّلب، اختار قائد المئة رجلًا قوي البنية من شمال إفريقيا: سمعان القيراوني، أحد المُشاهدين للموكب ليحمل الخشبة. وتبعهم يسوع وهو ما زال ينزف ويتصبَّب عرقه البارد الرطب المُميِّز لحالة الصدمة. وفي النهاية تمَّت الـ ٦٥٠ ياردة من قلعة أنطونيا إلى الجلجثة. ومرة أُخرى تُنزَع عن المُدان ثيابه ما عدا ما يغطِّي حقويه كعادة اليهود.

**الصَّلْب:**

ثم يبدأ الصَّلْب. وقُدِّم ليسوع خمرٌ ممزوج بمُرٍّ كمزيج مُسكِّن خفيف للألم، فلم يقبل أن يشرب. ثم أُمِرَ سمعان أن يضع الخشبة المُستعرضة على الأرض، وأُلقي يسوع بسرعة

على ظهره وكتفيه مقابل الخشبة. ويتحسَّس أحد الجنود الموضع المنخفض للمعصم من جهته الأمامية ويدفع فيه مسمارًا ثقيلًا مربعًا من الحديد المصنوع يدويًّا (حدادي) لينفذ خلال المعصم إلى عمق الخشبة. وبسرعة يتحرَّك إلى الجانب الآخر ويكرر نفس العملية، محترسًا ألَّا يجعل الذراعين مشدودين تمامًا بل يسمح ببعض الثني والحركة.

بعد ذلك رُفِعَت الخشبة (وعليها يسوع) وثُبِّتت في مكانها فوق الخشبة القائمة (المثبَّتة أصلًا في الأرض)، ثم سُمِّرت في أعلاها اللافتة المكتوب عليها: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ».

ثم دُفِعَت القدم اليُسرى للخلف تحت القدم اليُمنى وهما مشدودتان والأصابع إلى أسفل، ودُق مسمار خلال التقوُّس العظمي للقدمين تاركًا الركبتين في ثني خفيف. والآن تمَّ صَلْب الضحية. وتدريجيًّا يهبط الجسم، تحت تأثير ثقله، فيزداد الشدُّ عند مسامير المعصمين، فتنتج آلامٌ مُبرِّحة نارية تنتقل بشدة في الأصابع ثم أعلى الذراعين لتطرق طرقات مُفزعة في المخ، والمسامير المغروسة في المعصمين تضغط على العَصَب الأوسط، وإذ يحاول يسوع أن يرفع نفسه إلى أعلى ليتفادى هذا التعذيب الناتج من هذا الشدِّ، يضع كل ثقله على المسمار المُثبَّت في القدمين. فتنتج مرة أخرى آلام كاوية نتيجة لتمزيق المسمار للأعصاب بين مشطيات (عظام) القدمين.

وفي هذه المرحلة تحدث ظاهرة أُخرى، إذ يحدث أنه بسبب إجهاد الذراعين تنتاب العضلات موجات عنيفة مكتسحة من التقلُّصات، تنفذ إلى الأعماق وتكون ذات آلامٍ عميقة غامرة تتزايد مع كل نبضة للقلب. ومع هذه التقلُّصات يفقد المصلوب القدرة على رفع الجسم إلى أعلى.

ونتيجة للتعليق من الذراعين يحدث شلل للعضلات الصدرية، فتتوقَّف العضلات بين الأضلاع عن العمل. ونتيجة لهذا يدخل الهواء إلى الرئتين (شهيق)، ولكن لا يمكن إخراجه (زفير). فيُجاهد يسوع رافعًا نفسه ليحصل ولو على مجرد تنفُّسٍ قصير، فيعجز أولًا، ولكن بعد مدةٍ يرتفع تركيز ثاني أكسيد الكربون في الرئتين وفي مجرى الدم، وبناءً عليه يقل عنف التقلُّصات جزئيًّا. وبحركةٍ تقلُّصية يصبح قادرًا مرةً أخرى على دفع نفسه إلى أعلى ليزفر ويأخذ الأكسجين اللازم للحياة.

**كلمات يسوع السبع:**

ولا شكَّ أنه في تلك الفترات كان يسوع يقول كلماته القصيرة التي تسجَّلت، وهي:

**الأولى:** ناظرًا إلى أسفل، إلى الجنود الرومان وهم يلقون قرعة على ردائه غير المخيط فيقول: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ».

**والثانية:** للص التائب: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ».

**والثالثة:** ناظرًا إلى يوحنا الشاب المُرتجف المُفعَم بالحزن (التلميذ المحبوب) ويقول: «هُوَ ذَا أُمُّكَ»، وناظرًا إلى مريم أُمِّه: «يَا امْرَأَةُ، هُوَ ذَا ابْنُكِ».

**والصرخة الرابعة:** وهي الكلمات الأُولى للمزمور ٢٢: «إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟».

وتمرُّ ساعات وهو في هذا الألم غير المحدود، وحلقات متتابعة من التشنُّجات، مع تقلُّصات مُمزِّقة للمفاصل واختناق جزئي متقطِّع، مع ألمٍ مُبرِّح نتيجة لتمزُّق الأنسجة من ظهره المُتهرِّئ وهو يتحرَّك لأعلى ولأسفل على كتلة الخشب الخشنة. وهنا يبدأ صراعٌ جديد، إذ يحدث ألمٌ عميق ساحق داخل الصدر نتيجة لملء بطيء للتامور (الغشاء المُحيط بالقلب) بالمصل الذي يبدأ يضغط على القلب.

ولنذكُر مرَّةً أُخرى المزمور ٢٢ (الآية ١٤): «كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي».

ثم تقترب الحالة من النهاية – لأن فقدان السوائل من الأنسجة يكون قد وصل إلى المستوى الحرج – والقلب المضغوط يُجاهد ليدفع في الأنسجة – ليس دمًا عاديًّا بعد، بل دمًا مركَّزًا لزجًا بطيئًا – والرئتان المُعذَّبتان تُجاهدان، في تهيُّج شديد، لاهثة لتحصل على جرعاتٍ صغيرة من الهواء. والأنسجة التي أصبحت على درجةٍ شديدة من الجفاف تُرسِل سيلًا لا ينتهي من التنبيهات إلى المخ، وبلا استجابة.

ثم يلهث يسوع صارخًا صرخته **الخامسة**: «أَنَا عَطْشَانُ».

وهنا نذكُر آية أُخرى من المزمور ٢٢ النبوي آية (١٥): «يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ الْمَوْتِ تَضَعُنِي». وعندئذ رُفِعَت إليه إسفنجة غُمِسَت في

نوع من شرابٍ مُسْكِر، وهو الشراب الرخيص الرئيسي للجنود الرومان. ومن الواضح أنه لم يأخذ شيئًا منه.

أمَّا جسد يسوع الآن فقد قرب إلى النهاية، وبدأ يشعر برجفة الموت تزحف على أنسجته، وتأكُّده من هذا جعله يقول كلمته **السادسة**، وربما كانت أقوى بقليل من همسٍ متهدِّج: «قَدْ أُكْمِلَ».

**موت يسوع:**

وبموجة أخيرة من القوة يضغط مرةً أخرى قدميه المُمزقتين على المسمار، ويشدُّ ساقيه ليأخذ تنفُّسًا عميقًا، وينطق بصرخته **السابعة والأخيرة:** «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي».

وما يلي ذلك معروفٌ، فلكي لا يُدنِّس اليهود السبت طلبوا أن يُقتَل المُدانون ويُرفعوا من على الصلبان. والطريقة المُتَّبعة في إنهاء عملية الصَّلْب كان بكسر عظام الساقين. لأن هذا يمنع الضحية من محاولة الدفع إلى أعلى، وبالتالي لا يتمكَّن المصلوب من تخليص عضلات الصدر من الضغط الواقع عليها، وهكذا يحدث اختناقٌ سريع. لذلك كُسِرَت سيقان اللصَّين، ولكن عندما أتوا إلى يسوع وجدوا أن ذلك أصبح غير ضروري!!!

ويبدو أنه لكي يحصل المسئول على تأكيد مُضاعف للوفاة، طعن الجندي بحربته الجنب خلال المسافة بين الضلعين الرابع والخامس إلى أعلى لتنفذ خلال التامور إلى داخل القلب. وتقول الآية ٣٤ من الأصحاح ١٩ لإنجيل القديس يوحنا: «وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ». إذن، كان هناك خروج لسائل مائي من الغشاء المُحيط بالقلب (التامور)، وأيضًا دم من داخل القلب. وبذلك يكون لدينا دليلٌ حاسم لحدوث الوفاة، ويكون ربنا قد مات ليس بالاختناق وهو الموت العادي للصَّلْب، ولكن بسبب هبوط في القلب نتيجة للصدمة ولانضغاط القلب بسبب تجمُّع السائل في التامور.

هكذا نكون قد ألقينا نظرة إلى ما يمكن أن يُقدِّمه الإنسان من شرٍّ تجاه الإنسان وتجاه الله، وإن كان هذا ليس بالمنظر المقبول على الإطلاق، بل وهو كفيلٌ أن يتركنا في كآبةٍ كثيرة ويأس. ولكن حينما ننظر إلى ما يتضمَّنه هذا من رحمة الله غير المحدودة للإنسان، نصبح أكثر من شاكرين، إذ فيه قد تمَّت معجزة الكفَّارة وانتظار لفجر القيامة.